323797 ـ حكم الصلاة خلف من يقول: "الرسول نور الوجود، وسبب كل موجود" .

السؤال

إمام مسجدنا قال مثل هذا الكلام : " سيدنا محمد ﷺ هو نور الوجود، وسبب الوجود، مع العلم إنى لا أتذكر جيدا قوله لهذا الكلام، ربما قال غيره، لكنه يشبه هذا الكلام، فما حكم الصلاة خلفه ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولًا :

خلق الله تعالى الخلق لعبادته وتوحيده ، كما قال سبحانه : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ الذاريات/56 .

وعلى المؤمن أن يسعى لتحقيق هذه الغاية متبعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال " الجنيد بن محمد " : " الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي صلى الله عليه وسلم " انتهى من "الاستقامة" (1/ 249) .

ثانيًا :

هذه العبارات التي يقولها الصوفية مما ظاهرها أنها مخالفة للكتاب والسنة ـ يمكن حمل بعضها على معانٍ صحيحة بشيء من التأويل .

فإذا قال هذا الصوفي :

إن النبي صلى الله عليه وسلم نور الوجود ، فقد يكون مراده أي : منوره بالحق ، فالحق مقصور عليه وعلى أتباعه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإن قُصد هذا المعنى فهو حق .

أما إن قُصد به النور الحقيقي ، فهو غلوٌ وخطأ .

وكذلك إن قصد بقوله : إنه صلى الله عليه وسلم سبب الوجود ، هو ما يذكرونه أن الدنيا خلقت لأجله صلى الله عليه وسلم ،

فهذا أيضا له معنى صحيح ، فإن قُصد أنه سخرت له السماوات والأرض ، ونحو ذلك ، فهذا معنى صحيح .

ولا يصح في هذا المعنى حديث .

وإلا فهو خطأٌ وغلو .

وانظر أجوبة الأسئلة رقم : (4509)، (23290).

قال "ابن تيمية" : " والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خُلق مما يخلق منه البشر ؛ ولم يخلق أحد من البشر من نور ..

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج ، لما صار بمستوى يُسمع فيه صريف الأقلام ؛ وعلا على مقامات الملائكة ؛ والله تعالى أظهر من عظيم قدرته ، وعجيب حكمته ، من صالحي الآدميين ، من الأنبياء والأولياء : ما لم يظهر مثله من الملائكة ، حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات .

فخلق بدنه من الأرض ، وروحه من الملأ الأعلى . ولهذا يقال : هو العالم الصغير وهو نسخة العالم الكبير.

ومحمد سيد ولد آدم ، وأفضل الخلق وأكرمهم عليه .

ومن هنا قال من قال : إن الله خلق من أجله العالم ، أو إنه لولا هو لما خلق عرشًا ولا كرسيًا ولا سماء ولا أرضًا ولا شمسًا ولا قمرًا.

لكن ليس هذا حديثًا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا صحيحًا ولا ضعيفًا ، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل ولا يعرف عن الصحابة ، بل هو كلام لا يدرى قائله.

ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله : (سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) ، وقوله : (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ، وأمثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم .

ومعلوم أن لله فيها حكمًا عظيمة غير ذلك ، وأعظم من ذلك ، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما أسبغ عليهم من النعمة .

فإذا قيل : فعل كذا لكذا ، لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى .

وكذلك قول القائل : لولا كذا ، ما خلق كذا ؛ لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم أخرى عظيمة ، بل يقتضي إذا كان أفضل صالحي بني آدم محمد ، وكانت خلقته غاية مطلوبة ، وحكمة بالغة مقصودة أعظم من غيره ؛ صار تمام الخلق ونهاية الكمال حصل

بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

والله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وكان آخر الخلق يوم الجمعة ، وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق .. وسيد ولد آدم هو محمد ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ آدم فمن دونه تحت لوائه ـ .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم (إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته) أي : كتبت نبوتي وأظهرت ، لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه ، كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، إذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه .

فإذا كان الإنسان هو خاتم المخلوقات وآخرها ، وهو الجامع لما فيها ، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد إنسان هذا العين ، وقطب هذه الرحى ... فما ينكر أن يقال: إنه لأجله خلقت جميعها ، وإنه لولاه لما خلقت .

فإذا فسر هذا الكلام ونحوه ، بما يدل عليه الكتاب والسنة : قُبِل ذلك.

وأما إذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى ، بإشراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية ؛ كان ذلك مردودًا غير مقبول " ، انتهى من بتصرف "مجموع الفتاوى" (11/ 94 ـ 98).

على أن بعض العلماء كره ذلك مطلقا ، لئلَّا يؤدي للغلو ، وهذا ظاهر ، لا سيما مع ما عرف من حال القوم في غلوهم ، وقلة انتباههم للمعنى الصحيح المقيد بما دل عليه الكتاب والسنة ، بل انعدام ذلك ، وندرة طروء المعنى الصحيح ببال القوم ؛ فتعين الصرف عن الإطلاقات المجملة ، المحتملة من المعاني الباطلة ما هو معروف ؛ بل متبادر إلى أذهان الغلاة المشتغلين بنحو ذلك من الكلام.

قال "ابن نجيم" في "البحر الرائق" (5/ 131) : " قال في التتارخانية وفي جواهر الفتاوى :

هل يجوز أن يقال : لولا نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم ؟

قال هذا شيء يذكره الوعاظ على رءوس المنابر، يريدون به تعظيم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، والأولى أن يحترزوا عن أمثال هذا ، فإن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإن كان عظيم المنزلة والمرتبة عند الله تعالى ، فإن لكل نبي من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ منزلة ومرتبة وخاصة ليست لغيره ؛ فيكون كل نبي أصلًا بنفسه "، انتهى .

وينظر لمزيد الفائدة جواب السؤال رقم : (75395) .

ثالثًا :

وأما الصلاة خلفه ، فهذا يختلف باختلاف مراده ، وأعماله ، وقد ذكرنا أن ما يقوله له احتمال ، ولو على بعد .

فينظر إلى أعماله وأقواله الأخرى .

فإن كان الرجل ممن شأنه أن يقع في الشركيات ، كالاستغاثة بالقبور أو الأولياء أو دعائها فإنه لا يصلى خلفه ، لأن هذه الأفعال والأقوال شركية ، تخرج المسلم من دائرة الإسلام إلى الكفر ؛ حتى وإن كان الشخص المعين معذورا بجهل أو تأويل، فإنه ينبغي للعالم بحاله أن يترك الصلاة خلفه ، إنكارا عليه ، ولئلا يغتر بسكوت الناس عنه ، ومتابعتهم على ما يقول ويفعل.

وإن كانت أحواله إلى البدعة ما هو ، ولم يكن من شأنه أن يرتكب شيئا من الشركيات ، فلا بأس بالصلاة خلفه .

والذي ينبغي : الصلاة خلف إمام من أهل السنة والجماعة من أهل العلم والفضل ، فهو أفضل على كل حال ، إذا كان ممكنا .

وينظر : جواب السؤال رقم : (193896)، (93150).

والله أعلم